الفصل الثالث

في نزول القرآن على سبعة أحرف وما يتعلق بذلك

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أقرأني جبريل على حرف فراجعته. فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف ، زاد مسلم قال ابن شهاب بلغني أن تلك السبعة انما هي في الامر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام

وأخرجا أيضا عن عمر بن الخطاب انه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكدت أساوره في الصلاة. فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه. فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ. فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت كذبت. فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله. اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت. ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت. أنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه

وأخرج مسلم عن أبيّ بن كعب انه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما

قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرءا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله عز وجل فرقا ، فقال يا أبيّ أرسل اليّ أن اقرأ القرآن على حرف فرددت اليه أن هوّن على أمتي فردّ اليّ الثانية ان اقرأه على حرفين فرددت اليه أن هوّن على أمتي فردّ اليّ الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها . فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لأمتي . وأخرت الثالثة ليوم يرغب اليّ الخلق كلهم حتى ابراهيم

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع النبي صلى الله عليه وسلم [يقرأ] خلافها [قال] فأخذت بيده فانطلقت به الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : كلاكما محسن . فاقرأ [قال شعبة أحد رواة هذا الحديث] أكبر علمي [ان النبي صلى الله عليه وسلم] قال : فان من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا

وأخرج أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري عن عبدالله بن مسعود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن اقرأ القرآن على سبعة أحرف . كلٌّ كاف شاف

وأخرج عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرأوا ولا حرج . ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة

وأخرج عن أم أيوب وهي امرأة أبي أيوب الانصاري أنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نزل القرآن على سبعة أحرف. فما قرأت أصبت

وقد ورد حديث. أنزل القرآن على سبعة أحرف من رواية نحو عشرين من الصحابة وقد نص أبو عبيد على تواتره

***

وقد اختلف في المراد بالاحرف السبعة اختلافا كثيرا. وقد رأينا أن نورد هنا من الاقوال التي قيلت في ذلك ما يقتضي الحال ايراده فنقول : —

القول الاول ان المراد بالاحرف السبعة الاوجه التي يقع بها الاختلاف في القراءة.

وهو قول ابن قتيبة ومن نحا نحوه. قال والاوجه التي يقع بها ذلك سبعة

أولها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل ولا يُضارَّ كاتبٌ بالفتح والرفع

وثانيها ما يتغير بالفعل مثل باعِدْ و باعَد بلفظ الطلب والماضي

وثالثها ما يتغير باللفظ مثل تنشرها وننشزها

ورابعها ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل طلح منضود وطلع منضود

وخامسها ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل وجاءت سكرة الموت بالحق. وسكرة الحق بالموت

وسادسها ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل والذكر والانثى. وما خلق الذكر والانثى

وسابعها ما يتغير بأبدال كلمة بأخرى مثل كالعهن المنفوش. وكالصوف المنفوش

وتعقب ذلك قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل بأن الرخصة وقعت وأكثرهم يومئذ لا يكتب ولا يعرف الرسم وانما كانوا يعرفون الحروف ومخارجها وأجيبت بأنه لا يلزم من ذلك توهين ما ذهب اليه ابن قتيبة لاحتمال ان يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقا وانما اطلع عليه بالاستقراء

وقال أبو الفضل الرازيّ في اللوائح : الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف

الاول اختلاف الاسماء ـ من أفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث

الثاني اختلاف تعريف الافعال من ماض ومضارع وأمر

الثالث وجوه الاعراب

الرابع النقص والزيادة

الخامس التقديم والتأخير

السادس الابدال

السابع اختلاف اللغات كالفتح والامالة ـ والتوفيق والتفخيم ـ والادغام والاظهار ونحو ذلك

وقال ابن الجزريّ تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فاذا هي ترجع الى سبعة أوجه من الاختلاف ـ لا تخرج عنها

وذلك اما بتغير في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة نحو البخل ويحسب بوجهين ـ واما بتغير في المعنى فقط نحو فتلقى آدم من ربه كلمات ..

وأما في الحروف بتغير المعنى لا الصورة نحو تبلو وتتلو ـ وعكس ذلك نحو الصراط والسراط ـ أو بتغيرهما نحو فامضوا فاسعوا ـ وأما في التقديم والتأخير نحو فيقتلون ويُقتلون ـ أو في الزيادة والنقصان نحو أوصى ووصى ،

فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها

قال وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والرَّوْم والاشمام والتخفيف والتسهيل والنقل والابدال فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ أو المعنى لان هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن ان يكون لفظا واحدا ه

القول الثاني ان المراد بالاحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالالفاظ المختلفة نحو اقبل وهلم وتعال وعجل وأسرع. وأنظر وأخر وأمهل ونحوه وكاللغات التي في أفّ ونحو ذلك

قال أبو عمر بن عبد البر وعلى هذا القول أكثر أهل العلم وأنكروا على من قال انها لغات لان العرب لايرتكب بعضها لغة بعض، ومحال ان يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم أحدا بغير لغته، . قال فهذا يعني السبعة الاحرف المذكورة في الاحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث. منهم سفيان بن عيينة وابن وهب ومحمد بن جرير الطبري والطحاويّ وغيرهم

قال ابن عبد البر وذكر ابن وهب في كتاب الترغيب من جامعه قال قيل لمالك أترى ان نقرأ مثل ما قرأ عمر بن الخطاب فامضوا الى ذكر الله قال ذلك جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه، ومثل تعلمون ويعلمون قال مالك لا أرى باختلافهم في ذلك بأسا. وقد كان الناس ولهم مصاحف، قال ابن وهب سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لي ذهب؛ وأخبرني مالك قال أقرأ عبد الله بن مسعود رجلا أنّ شجرة الزقوم طعام الاثيم. فجعل الرجل يقول اليتيم فقال طعام الفاجر. قلت لمالك أترى أن يقرأ بذلك قال نعم أرى ان ذلك واسع.

قال ابن عبد البر معناه عندي ان يقرأ به في غير الصلاة . وانما لم تجز القراءة به في الصلاة لان ماعدا مصحف عثمان لا يقطع عليه وانما يجري مجرى أخبار الآحاد لكنه لا يقدم أحد على القطع في رده وقد قال مالك فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة مما يخالف المصحف : لم يصل وراءه

وقد ذكر الطبري هذه المسألة في مقدمة تفسيره و بين رأيه فيها فرأينا أن نورد هنا ما قاله في ذلك ملخصا قال أبو جعفر بعد أن أورد روايته لحديث انزل القرآن على سبعة أحرف من طرق مختلفة : فصحّ وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع اذ كان معلوما ان ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن احصائه

فان قال لنا قائل وما برهانك على ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف وقوله امرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف هو ما ادعيت به من انه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل ونحو ذلك من الاقوال . فقد علمت قائلي ذلك من سلف الامة وخيار الأئمة

قيل له ان الذين قالوا ذلك لم يدعوا ان تأويل الاخبار التي تقدم ذكرنا لها هو مازعمت انهم قالوه في الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا . وانما أخبروا ان القرآن نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد روينا بمثل الذي قالوا من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من أصحابه أخبارا قد تقدم ذكرنا لبعضها

وسنستقصي ذكر باقيها ببيانه اذا انتهينا اليه فأما الذي قدتقدم ذكرناه من ذلك فخبر أبي بن كعب من رواية أبي كريب عن ابن فضيل عن اسماعيل بن أبي خالد الذي ذكر فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة والسبعة الاحرف هو ما قلنا من انه الألسن السبعة . والابواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الامر والنهي والترغيب والترهيب والجدل والقصص والمثل التي اذا عمل بها العامل وانتهى الى حدودها المنتهي استوجب به الجنة وليس والحمد لله في قول من قال ذلك من المتقدمين خلاف لشيء مما قلناه

والدلالة على صحة ما قلناه ما تقدم ذكرنا له من الروايات الثابتة عن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب أنهم تماروا في القرآن فخالف بعضهم بعضا في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعاني وانهم احتكموا فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأ كل رجل منهم ثم صوّب جميعهم في قراءتهم على اختلافها حتى ارتاب بعضهم لتصويبه اياهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم ان الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف

فقد وضح ان اختلاف الاحرف السبعة انما هو اختلاف ألفاظ باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام ، وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الاخبار عن جماعة من السلف والخلف ، قال عبد الله بن مسعود اني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين . فاقرؤا كما علمتم وإياكم والتنطع . فانما هو كقول أحدكم هلم وتعال ، وقال : من قرأ القرآن على حرف فلا يتحولن عنه الى غيره

ومعلوم ان ابن مسعود لم يعن بقوله هذا من قرأ ما في القرآن من الامر أو النهي فلا يتحولن عنه الى قراءة ما فيه من الوعد أو الوعيد ومن قرأ ما فيه من الوعد أو الوعيد فلا يتحولن عنه الى قراءة ما فيه من القصص أو المثل. وانما عنى ان من قرأ بحرفه وحرفه قراءته فلا يتحولن عنه الى غيره رغبة عنه ومن قرأ بحرف أبي أو بحرف زيد أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الاحرف السبعة فلا يتحولن عنه الى غيره رغبة عنه فان الكفر ببعضه كفر بجميعه. والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعه يعني بالحرف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الاحرف السبعة

وروى الاعمش عن أنس أنه قرأ هذه الآية ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا. فقال له بعض القوم يا أبا حمزة انما هي أقوم فقال أقوم وأصوب وأهدى واحد

وحدث أيوب عن محمد انه قال نبئت أن جبرائيل وميكائيل اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبرائيل اقرأ القرآن على حرفين فقال له ميكائيل استزده فقال اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف فقال له ميكائيل استزده قال حتى بلغ سبعة أحرف قال محمد لا تختلف في حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي هو كقولك تعال وهلم واقبل قال قال وفي قراءتنا ان كانت الا صيحة واحدة. وفي قراءة ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة

قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فاذا كان تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف عندك ما وصفت. فأوجدنا حرفا في كتاب الله مقروءا بسبع لغات فتحقق بذلك قولك. والا فان لم نجد ذلك كذلك كان معلوما بعدمكه صحة قولك من زعم أن تأويل ذلك أنه نزل

بسبعة معان الامر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل وفساد قولك أو تقول في ذلك أن الاحرف السبعة لغات في القرآن سبع متفرقة في جميعه من لغات احياء من قبائل العرب مختلفة الالسن كما قال بعض من لم يمعن النظر في ذلك فتصير بذلك الى القول بما لا يجهل فساده ذو عقل ولا يلتبس خطؤه على ذي لب. لان الأحرف السبعة اذا كانت لغات متفرقة في جميع القرآن ففي موجب حرف من ذلك اختلافا بين تاليه لان كل تال انما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ما هو به في المصحف وعلى ما أنزل. واذا كان ذلك كذلك بطل وجه اختلاف الذين روي عنهم أنهم اختلفوا في قراءة سورة وفسد معنى أمر النبي صلى الله عليه وسلم كل قارئ منهم أن يقرأه على ما علم اذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافا في لفظ ولا افتراقا في معنى، وكيف يجوز أن يكون هناك اختلاف بين القوم والمعلم واحد غير ذي أوجه. وفي صحة الخبر عن الذين روي عنهم الاختلاف في حروف القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم وصفناه أبين الدلالة على فساد القول بأن الاحرف السبعة انما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعاني مع أن المتدبر اذا تدبر قول هذا القائل في تأويله قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف وادعاءه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة في جميع القرآن ثم جمع بين قيله ذلك واعتلاله لقيله بالاخبار التي رويت عمن روى ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال هو بمنزلة قولك تعال وهلم وأقبل وان بعضهم قال هو بمنزلة قراءة عبد الله الا زقية وهي في قراءتنا الا صيحة وما أشبه ذلك من حججه علم ان حججه مفسدة في ذلك مقالته وأني

مقالته فيه مضادة حجته اذ الذي نزل به القرآن عنده احدى القراءتين اما صبحة واما زقية واما تعال أو أقبل أو هلم لا جميع ذلك لان كل لغة من اللغات السبع عنده في كلمة أو حرف من القرآن غير الكلمة او الحرف الذي فيه اللغة الاخرى واذا كان ذلك كذلك بطل اعتلاله لقوله بقول من قال ذلك بمنزلة هلم وتعال وأقبل لان هذه الكلمات هي ألفاظ مختلفة يجمعها في التأويل معنى واحد وقد أبطل قائل هذا القول الذي حكينا عنه قوله اجتماع اللغات السبع في حرف واحد من القرآن . فقد تبين بذلك افساده حجته لقوله بقوله وافساده قوله بحجته . قيل له ليس القول في ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني كقول القائل هلم وأقبل وتعال والي ونحو ذلك مما تختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني

فان قال ففي أيّ موضع من كتاب الله نجد حرفا واحداً مقروءًا بلغات سبع مختلفات الالفاظ متفقات المعنى فنسلم لك صحة ما ادعيت من التأويل في ذلك . قيل انا لم ندّع أن ذلك موجود اليوم وانما أخبرنا أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف على نحو ما جاءت به الاخبار التي تقدم ذكرنا لها هو ما وصفنا دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك للعلل التي بينا

فان قال فما بال الاحرف الستة غير موجودة ان كان الامر في ذلك على ما وصفت وقد أقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم . أنسخت فرفعت فما

الدلالة على نسخها ورفعها أم نسيتهن الامة فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه أم ما القضية في ذلك . قيل لم تنسخ فترفع ولا ضيعتها الامة وهي مأمورة بحفظها ولكن الامة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الاحرف السبعة شاءت كما أمرت اذا هي حنثت في اليمين وهي موسرة أن تكفّر بأي الكفارات الثلاث شاءت اما بعتق أو اطعام أو كسوة فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير فيها بأي الثلاث شاء المكفر كانت مطيعة حكم الله مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله فكذلك الامة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخيرت في قراءته بأي الاحرف السبعة شاءت فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالاحرف الستة الباقية ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به

فان قيل وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف واحد دون سائر الاحرف الستة الباقية؟ قيل ثبت عند رواة الاخبار أنه اجتمع في غزو اذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق فتذاكروا القرآن واختلفوا فيه حتى كاد تكون بينهم فتنة فركب حذيفة بن اليمان لما رأى اختلافهم في القرآن الى عثمان فقال ان الناس قد اختلفوا في القرآن حتى اني والله لاخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، ففزع عثمان لذلك فزعا شديدا ، فارسل الى حفصة فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها . فنسخ منها مصاحف وبعث بها الى الآفاق . وعزم على كل من عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه فاستوثقت له الامة على ذلك بالطاعة ورأت فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالاحرف

الستة التي عزم عليها امامها العادل في تركها طاعة منها له ونظرا منها لانفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها - حتى درست من الامة معرفتها - وتعفت آثارها - فلا سبيل لاحد اليوم الى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها لصحتها وصحة شيء منها ولكن نظرا منها لانفسها ولسائر أهل دينها ، فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الاحرف الستة الباقية

فان قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها - قيل ان أمره اياهم بذلك لم يكن أمرا يجاب وفرض وانما كان امر اباحة ورخصة لان القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب ان يكون العلم بكل حرف من تلك الاحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراء الامة ، وفي تركهم فعل ذلك كذلك اوضح دليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد ان يكون في نقلة القرآن من الامة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الاحرف السبعة ، فاذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله بل كان الواجب عليهم من الفعل مافعلوا اذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للاسلام وأهله فكان القيام بفعل الواجب عليهم أولى بهم من فعل ما لو فعلوه كانوا الى الجناية على الاسلام وأهله أقرب منهم الى السلامة من ذلك

فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف الى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزل لانه معلوم

أن الاحرف من حروف القرآن مما اختلفت القراء في قراءته بهذا المعنى يوجب المراء به كفر المماري به في قول أحد من علماء الامة

فان قال لنا قائل فهل لك من علم بالالسن السبعة التي نزل بها القرآن وأي الالسن هي من ألسن العرب قلنا أما الالسن الستة التي قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا الى معرفتها لأنا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الاسباب التي قدمنا ذكرها

وقد قيل أن خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة

القول في البيان

عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة

روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الكتاب الاول نزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف . زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا ،

وروي عن أبي قلابة انه قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل

وروي عن أبي بن كعب أنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي قال اقرأه على حرفين فقلت اي رب خفف عن أمتي فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة كلها شاف كاف

وهذه الاخبار متقاربة المعاني

فأما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كان الكتاب الاول نزل على حرف واحد ونزل القرآن على سبعة أحرف فهو ان كل كتاب تقدم كتابنا من الكتب المنزلة على نبي من أنبياء الله صلوات الله عليهم فانما نزل بلسان واحد متى حول الى غير اللسان الذي نزل به كان ذلك له ترجمة وتفسيرًا لا تلاوة له على ما أنزله الله ، وأنزل كتابنا بألسن سبعة بأي تلك الالسن السبعة تلاه التالي كان له تاليا على ما أنزله الله لا مترجما ولا مفسرا حتى يحوله عن تلك الالسن السبعة الى غيرها فيصير فاعل ذلك حينئذ اذا أصاب معناه له مترجما كما كان التالي لبعض الكتب التي أنزلها الله بلسان واحد اذا تلاه بغير اللسان الذي أنزل به له مترجما لا تاليا على ما أنزله الله به

وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الكتاب الاول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب فانه صلى الله عليه وسلم عنى بقوله نزل الكتاب الاول من باب واحد والله أعلم ما ترك من كتب الله على من أنزله من أنبيائه خاليا من الحدود والاحكام والحلال والحرام كزبور داود الذي انما هو تذكير ومواعظ . وانجيل عيسى الذي هو تمجيد ومحامد وحض على الصفح والاعراض دون غيرهما من الاحكام والشرائع وما أشبه ذلك من الكتب التي نزلت ببعض المعاني السبعة التي يحوي جميعهن كتابنا الذي خص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته فلم يكن المتعبدون باقامته يجدون لرضا الله تعالى ذكره مطلبا ينالون به الجنة و يستوجبون به القربة الا من الوجه الواحد الذي أنزل به كتابهم وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذي نزل منه ذلك الكتاب

وخص الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته بأن أنزل عليهم كتابه

على أوجه سبعة من الوجوه التي ينالون بها رضوان الله ويدركون بها الفوز بالجنة اذا أقاموها فلكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة الذي نزل منه القرآن . لان العامل بكل وجه من أوجهه السبعة عامل على باب من أبواب الجنة وطالب من قبله الفوز بها فالعمل بما أمر الله جل ذكره في كتابه باب من أبواب الجنة . وترك ما نهى الله عنه فيه باب آخر ثان من أبوابها وتحليل ما أحلّ الله فيه باب ثالث من أبوابها . وتحريم ما حرم الله فيه باب رابع من أبوابها . والايمان بمحكمه المبين باب خامس من أبوابها . والتسليم لمتشابهه الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن خلقه والاقرار بأن كل ذلك من عند ربه باب سادس من أبوابها . والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بعظاته باب سابع من أبوابها ، فجميع ما في القرآن من حروفه السبعة وأبوابه السبعة التي نزل منها جعله الله لعباده الى رضوانه هاديا ولهم الى الجنة قائدا . انتهى ما قاله الطبريّ في ذلك ملخصا

وقال ابن عبد البر أنكر بعض أهل العلم ان يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الامر لأن ذلك من لغته التي طبع عليها . وأيضا فان عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي وقد اختلفت قراءتهما ومحال ان ينكر عليه عمر لغته

القول الثالث ان المراد بالسبعة الاحرف سبع لغات متفرقة في القرآن لسبعة أحياء من قبائل العرب مختلفة الالسن .

والى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وثعلب وأبو حاتم السجستاني وغيرهم وقال الازهري في التهذيب انه المختار

وقد اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثروا فقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد بن بكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم استرضع فيهم وهو يخالط في اللسان كنانة وهذيلا وثقيفا وخزاعة وأسدا وضبة وألفافها لقربهم من مكة وتكرارهم اليها ثم من بعد هذه تميما وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة العرب

وقال قاسم بن ثابت ان قلنا من هذه الاحرف لقريش . ومنها لكنانة . ومنها لاسد . ومنها لهذيل . ومنها لتميم . ومنها لضبة والفافها . ومنها لقيس لكان قد أتى على قبائل مضر في قراءات سبعة تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن وهذه الجملة هي التي اليها انتهت الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل

قال أبو عمر بن عبد الله وأنكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن لان فيها شواذ لا يقرأ بها مثل كشكشة قيس وعنعنة تميم فكشكشة قيس انهم يجعلون كاف المؤنث شينا فيقولون في جعل ربك تحتك سريا . ربش تحتش . وعنعنة تميم انهم يقولون في ان عن فيقرؤون عسى الله عن يأتي بالفتح . وبعضهم يبدل السين تاء فيقول في الناس الناس . وهذه لغات يرغب بالقرآن عنها ،

وما نقل عن عثمان من انه قال نزل القرآن بلسان مضر معارض بما نقل عنه من أنه قال القرآن نزل بلسان قريش . وهذا أثبت عنه لانه من رواية ثقات أهل المدينة

وقال أبو عبيد اللغات السبع مفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش و بعضه بلغة هذيل و بعضه بلغة هوازن و بعضه بلغة اليمن وغيرهم .

قال و بعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا

وجاء عن أبي صالح عن ابن عباس انه قال نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن . وهم خمس قبائل أو أربع . منها سعد بن بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم . وجشم بن بكر ونضر ابن معاوية وثقيف ،

وهؤلاء كلهم من هوازن . ويقال لهم عليا هوازن ، ولهذا قال أبو عمرو ابن العلاء أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم قال أبو حاتم وخصّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب لقرب جوارهم من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومنزل الوحي قال وأحب الالفاظ واللغات الينا ان يُقرأ بها لغاتُ قريش ثم أدناهم من بطون مضر

وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس انه قال نزل القرآن بلغة الكعبين قيل وكيف ذاك قال لان الدار واحدة يعني ان خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم

وقال أبو حاتم نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتيم الرباب والازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر وأنكر ذلك ابن قتيبة وغيره وقالوا لم ينزل القرآن الا بلغة قريش لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه

واستبعد بعض العلماء دلالة هذه الآية على ذلك الا انه عند امعان النظر يتبين قوة قول من قال ان القرآن لم ينزل الا بلغة قريش وذلك لامرين

أحدهما انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم

والثاني انها أفصح اللغات ، ولنذكر لك شيئا مما قيل في قريش وفصاحتها. قال ابن فارس في فقه اللغة :—

باب القول في أفصح العرب

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقزوين. قال حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس الخشكي. حدثنا اسماعيل بن أبي عبيد الله قال أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة. وذلك ان الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمدًا صلى الله عليه وسلم. فجعل قريشا قطّان حرمه وولاة بيته. فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش في أمورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم، ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها أهل الله لانهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام لم تشبهم تائبة ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة. فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفا. اذ جعلهم رهط نبيه الادنين وعترته الصالحين. وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب. ألا ترى انك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرفية قيس ولا كشكشة أسد. ولا كسكسة ربيعة ولا الكسر تسمعه من أسد وقيس مثل تعلمون ونعلم ومثل شعير وبعير

وقال الفراء كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ويحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكاموا به فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ.

ثم ذكر ما يوجد في لغات غيرهم من مستبشع اللغات كالكشكشة والكسكسة والعنعنة وغير ذلك وأطال

وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالالفاظ والحروف: كانت قريش أجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس ، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد . فان هؤلاء هم الذين عنهم أخذ اكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين. ولم عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة لم يؤخذ عن حضري قط ولاعن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم . فأنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط . ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانيـة . ولا من تغلب واليمن فأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ولا من عبد القيس وازد عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس . ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة . ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة . ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم . ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت ألسنتهم ؛ والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب ه

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرح البخاري في باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب لقول الله تعالى قرآنا عربيا ـ بلسان عربي مبين : وأما نزوله بلغة قريش فمذكور في الباب من قول عثمان ، وقد أخرج أبو داود من طريق كعب الانصاريّ ان عمر كتب الى ابن مسعود ان القرآن نزل بلسان قريش ـ فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل ، وأما عطف العرب عليه فمن عطف العام على الخاص لان قريشا من العرب ، وأما ما ذكره من الآيتين فهو حجة لذلك ، وقد أخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق أخرى عن عمر قال اذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلسان مضر اه ومضر هو ابن نزار بن معد بن عدنان ـ واليه تنتهي انساب قريش وقيس وهذيل وغيرهم ، وقال القاضي أبو بكر بن الباقلانيّ معنى قول عثمان نزل القرآن بلسان قريش أي معظمه ، وانه لم تقم دلالة قاطعة على ان جميعه بلسان قريش فان ظاهر قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا انه نزل بجميع ألسنة العرب ـ ومن زعم انه أراد مضر دون ربيعة أو هما دون اليمن أو قريشا دون غيرهم فعليه البيان ـ لان اسم العرب يتناول الجميع تناولا واحدا ، ولو ساغت هذه الدعوى لساغ للآخر أن يقول نزل بلسان بني هاشم مثلا لانهم أقرب نسبا الى النبي صلى الله عليه وسلم من سائر قريش ، وقال أبو شامة يحتمل أن يكون قوله نزل القرآن بلسان قريش أي في ابتداء نزوله ثم أبيح ان يقرأ بلغة غيرهم كما سيأتي تقريره في باب انزل القرآن على سبعة أحرف ـ اه

وتكملته ان يقول انه نزل أولا بلسان قريش أحد الاحرف السبعة ثم نزل باقي الاحرف السبعة المأذون في قراءتها تسهيلا وتيسيرا كما سيأتي بيانه فلما جمع عثمان الناس على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولا بلسانه

أولى الاحرف فحمل الناس عليه لكونه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ولما له من الاولية المذكورة. وعليه يحمل كلام عمر لابن مسعود أيضا ه

وقال بعض العلماء ان القرآن كله نزل بلغة قريش غير أن قريشا دخل في لغتهم شيء من لغات غيرهم من قبائل العرب مما اختاروه منها فصار ذلك من لغتهم وبذلك يرتفع الخلاف بين الفريقين

ونظير هذا القول ما قاله أبو عبيد في المعرب كالسجل والقسطاس والجبت وذلك ان بعض العلماء ذهب الى انه قد وقع في القرآن ألفاظ منها ما هو بلسان الفرس ومنها ما هو بلسان غيرهم كالروم والحبش

وأنكر بعض العلماء ذلك وأعظم هذا القول وأكبره وقال ليس في القرآن شيء من كلام العجم وهو كله بلسان عربي قال الله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين

وقال أبو عبيد والصواب من ذلك عندي والله أعلم مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك ان هذه الحروف وأصولها عجمية كما قال الفقهاء الا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال انها عجمية فهو صادق

هذا وقد اعترض على القول الثالث وهو ان المراد بالسبعة الاحرف سبع لغات متفرقة في القرآن لسبعة احياء من قبائل العرب مختلفة الالسن بأن الامر لو كان كذلك لم يقع اختلاف بين التالين لان كل لغة من اللغات السبع عند القائلين بهذا القول في كلمة من القرآن غير الكلمة التي فيها اللغة الاخرى

ويوضح لك مرادهم قول بعضهم اللغات السبع مفرقة في القرآن فبعضه

بلغة قريش و بعضه بلغة هذيل و بعضه بلغة هوازن و بعضه بلغة اليمن وغيرهم و بعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا وكأن القائلين به لم يمعنوا النظر في مورد قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هـذا القرآن انزل على سبعة أحرف . فاقرؤوا ماتيسر منه . وهذا الاعتراض أورده الطبري وقد ذكرنا آنفا ما قاله في ذلك على طريق البسط

القول الرابع ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أنواع من الكلام كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن وقد اختلف القائلون به في تعيين السبعة . والمشهور في ذلك قول من قال انها أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال واحتجوا على ذلك بما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال . فأحلوا حلاله . وحرموا حرامه . وافعلوا ماأمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه . واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه . وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا . أخرجه أبو عبيد وغيره

قال في فتح الباري قال ابن عبد البر هذا حديث لايثبت لانه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ولم يلق ابن مسعود وقد رده قوم من أهل النظر منهم أبو جعفر أحمد بن أبي عمران ، قلت وأطنب الطبري في مقدمة تفسيره في الرد على من قال به . وحاصله انه يستحيل ان يجتمع في الحرف الواحد هذه الاوجه السبعة ، وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود . وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري عن أبي سلمة مرسلا وقال هذا مرسل جيد

ثم قال ان صح فمعنى قوله في هذا الحديث سبعة أحرف أي سبعة أوجه كما فسرت في الحديث. وليس المراد الاحرف السبعة التي تقدم ذكرها في الاحاديث الاخرى لان سياق تلك الاحاديث يأبى حملها على هذا بل هي ظاهرة في ان المراد ان الكلمة الواحدة تقرأ على وجهين وثلاثة وأربعة الى سبعة تهوينا وتيسيرا، والشيء الواحد لا يكون حراما وحلالا في حالة واحدة ه

وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف لان هذه لاتسمى أحرفا وأيضا فالاجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا في تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة

وقال الماوردي هذا القول خطأ لانه صلى الله عليه وسلم أشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقدأجمع المسلمون على تحريم ابدال آية أمثال بآية أحكام، وقال أبو شامة يحتمل أن يكون التفسير المذكور للابواب لا للاحرف أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه أي أنزله الله على هذه الاصناف لم يقتصر منها على صنف واحد كغيره من الكتب ؛ وقد اوردنا في اثناء بيان القول الثاني ما قاله الطبري في معنى هذا الحديث وما يتعلق به ملخصا

وهذه الاقوال الاربعة هي أشهر ماقيل في معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف وأظهرها القول الاول وهو أن المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه يقع الاختلاف بها في القراءة مع عدم التضاد في المعنى

وقال بعض العلماء ان المراد بالسبعة الاحرف سبع قراءات وحكي عن الخليل بن أحمد واستضعفه بعضهم جدا وكأنه لم يشعر بأنه بمعنى القول الاول

غير أنه عبر عنه بعبارة أخرى

القول الخامس ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه في خواتم الآي مثل سميعا حكيما وعليما حكيما

ودليل القائلين به ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ان قلت غفورا رحيما أو قلت عزيزا حكيما فالله كذلك ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة وقال ابن عبد البر انما اراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا يكون في شيء منها معنى وضده ولا وجه يخالف معنى وجه خلافا ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده

وقال بعض العلماء هذه السبعة انما هي سبعة أوجه في أسماء الله تعالى واذا صحت هذه الرواية حملت على أنه مما نسخ . فانه لا يجوز للناس أن يبدلوا اسماً لله بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه

وكأن بعض الحفاظ ينكر صحة هذه الرواية فانه قال في اثبات ماذهب اليه من عدم جواز الرواية بالمعنى : وبرهان ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علّم البراء بن عازب دعاءً وفيه ونبيك الذي أرسلت . فلما أراد البراء ان يعرض ذلك الدعاء على النبي صلى الله عليه وسلم قال ورسولك الذي أرسلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا . ونبيك الذي أرسلت ، فأمره عليه السلام أن لا يضع لفظة رسول في موضع لفظة نبي . وذلك حق لا يحيل معنى وهو عليه السلام رسول ونبي ، فكيف يسوغ للجهال المغفلين ان يقولوا انه عليه السلام كان يجيز أن يوضع في القرآن مكان عزيز حكيم غفور رحيم أو سميع عليم وهو يمنع من ذلك في دعاء ليس قرآنا . والله يقول مخبرا عن نبيه : ما يكون

لي أن أبدّله من تلقاء نفسي، ولا تبديل أكثر من وضع كلمة موضع أخرى ه

القول السادس ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه.

أحدها التذكير والتأنيث كقوله ولا يقبل منها شفاعة. ولا تقبل

الثاني الجمع والتوحيد كقوله والذين هم لأماناتهم. ولأمانتهم

والثالث الاعراب كقوله ذو العرش المجيدِ والمجيدُ

والرابع التصريف كقوله يعكِفون ويعكُفون

والخامس اختلاف الادوات مثل لكن بالتخفيف والتشديد كقوله ولكنِ البرُّ ولكنَّ البرّ

والسادس اختلاف اللغات في نحو المدّ والقصر. والهمز وتركه. والامالة والتفخيم. والادغام والاظهار

السابع تغيير اللفظ من المتكلم الى الغائب ونحو ذلكَ كقوله ندخله ويدخله

القول السابع ان المراد بالسبعة الاحرف سبعة أوجه في أداء التلاوة وكيفية النطق بالكلمات التي فيها من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق وامالة واشباع ومد وقصر وتشديد وتخفيف وتليين لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه. وحكي هذا القول عن الفراء

والاقوال في هذه المسألة كثيرة وغالبها بعيد عن الصواب وكأنّ القائلين بذلك ذهلوا عن مورد حديث أنزل القرآن على سبعة احرف فقالوا ما قالوا

وقال الحافظ ابو حاتم بن حبان البستيّ: اختلف اهل العلم في معنى

الاحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا فذكرها ونحن نذكر منها اربعة عشر قولا : —

الاول . زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال

الثاني . وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج

الثالث . محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص

الرابع سبع جهات لا يتعدّاها الكلام . لفظ خاصّ أريد به الخاص . ولفظ عام أريد به العام . ولفظ عام أريد به الخاص . ولفظ خاص أريد به العام ولفظ يستغني بتنزيله عن تأويله . ولفظ لا يعلم فقهه الاّ العلماء . ولفظ لا يعلم معناه الا الراسخون في العلم

الخامس . اظهار الربوبية واثبات الوحدانية . وتعظيم الالوهية . والتعبد لله . ومجانبة الاشراك . والترغيب في الثواب . والترهيب من العقاب

السادس . سبع لغات منها خمس في هوازن واثنتان لسائر العرب

السابع . سبع لغات متفرقة لجميع العرب كل حرف منها لقبيلة مشهورة

الثامن . سبع لغات . لغة قريش . ولغة لليمن . ولغة لجرهم . ولغة لهوازن . ولغة لقضاعة . ولغة لتميم . ولغة لطيء

التاسع . لغة الكعبين كعب بن عمرو وكعب بن لؤيّ . ولهما سبع لغات

العاشر . اللغات المختلفة لاحياء العرب في معنى واحد مثل هلم وهات وتعالى وأقبل

الحادي عشر . همز واماله وفتح وكسر وتفخيم ومد وقصر

الثاني عشر . أنها في أسماء الرب . مثل الغفور الرحيم السميع البصير العليم الحكيم

الثالث عشر هي آية في صفات الذات . وآية تفسيرها في آية أخرى . وآية بيانها في السنة الصحيحة . وآية في قصص الانبياء والرسل . وآية في خلق الاشياء . وآية في وصف الجنة . وآية في وصف النار

الرابع عشر . أنها آية في اثبات الصانع . وآية في اثبات وحدانيته . وآية في اثبات صفاته . وآية في اثبات رسله . وآية في اثبات كتبه . وآية في اثبات الاسلام . وآية في ابطال الكفر

وقد أوردها الحافظ جلال الدين بأسرها في الاتقان ثم قال قال ابن حبان فهذه خمسة وثلاثون قولا لاهل العلم واللغة في معنى انزال القرآن على سبعة أحرف وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة ويحتمل غيرها وقال الشرف المرسي : هـذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عمن نقلت ولا أدري لم خصّ كل واحد منهم هذه الاحرف السبعة بما ذكر مع ان كلها موجودة في القرآن فلا أدري معنى التخصيص . ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة . وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الذي في الصحيح . فانهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه وانما اختلفا في قراءة حروفه ، وقد ظن كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبع وهو جهل قبيح ه

وقال أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي هذا الحديث من المشكل الذي لا يدرى معناه لان الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة . ونحا نحوه الحافظ المذكور في حاشيته على سنن النسائي حيث قال بعد ذكره لحديث ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف : في المراد به أكثر من ثلاثين قولا حكيتها في الاتقان ، والمختار عندي انه من المتشابه الذي لا يدرى تأويله ه

وقد أفاض في بيان معناه كثير من الفقهاء والقراء وأهل التفسير والحديث والكلام وغيرهم حتى ان بعضهم أفرده بالتصنيف منهم العلامة عبد الرحمن المعروف بأبي شامة وهو جدير بذلك

وقد رأيت ان أورد هنا على طريق التلخيص بعض ماذكره بعض العلماء الاعلام في ذلك لاشتماله على شيء مما لم يذكر من قبل

***

قال بعضهم اختلف الناس في معنى قول النبي عليه السلام ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف . فاقرؤوا ماتيسر منه . فقيل ان ذلك في الذي يقال على سبعة أوجه كأفّ ونحوه

وزعم قوم ان كل كلمة تختلف القراء فيها فانها على سبعة أوجه ويعرف بعض الوجوه بمجيء الخبر . ولا يعرف البعض منها اذا لم يأت بها خبر

وقال قوم ظاهر الحديث يوجب ان يكون في القرآن ما يقرأ على سبعة أوجه . فاذا وجد ذلك في كلمة أو كلمتين تم معنى الحديث

وزعم قوم ان المراد به انه أنزل على سبع لغات ويرد عليه ان لغة عمر وابيّ وابن مسعود كانت واحدة وقراءتهم مختلفة . وفي ذلك نظر . لان لغتهم ليست واحدة في كل شيء . فان ما استعملته قريش ومنهم عمر وما استعملته الانصار ومنهم أبيّ . وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود قد يختلف ، وذلك النحو من الاختلاف هو الاختلاف في كتاب الله

وقد اختلف في القبائل السبع التي أنزل القرآن بلغاتها فقيل كلها من قبائل مضر وقيل غير ذلك

وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو العباس المبرد ان عرب اليمن من

القبائل التي انزل القرآن بلغاتهم والظاهر ان ذلك انما هو فيما استعمله أهل الحجاز من لغة أهل اليمن

وقال قوم معنى الحديث أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات والإعراب ، ومن تأمل أوجه القراءات وجدها سبعة ه

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد تفسيره للسبعة الاحرف بسبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها : وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه بل المراد أن غاية ما انتهى اليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة الى سبعة ، فان قيل فانا نجد بعض الكلمات يقرأ على أكثر من سبعة أوجه . فالجواب أن غالب ذلك اما لا يثبت الزيادة واما أن يكون من قبيل الاختلاف في الاداء كما في المد والامالة ونحوها ، وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التسهيل والتيسير . ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة في الآحاد كما يطلق لفظ السبعين في العشرات والسبعمائة في المئين ولا يراد العدد المعين والى هذا جنح عياض ومن تبعه وذكر القرطبيّ عن ابن حبان أنه بلغ الاختلاف في معنى الاحرف السبعة الى خمسة وثلاثين قولا ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة وقال المنذريّ أكثرها غير مختار ولم أقف على كلام ابن حبان بعد تتبعي مظانّه من صحيحه وسأذكر ما انتهى اليّ من أقوال العلماء في ذلك مع بيان المقبول منها والمردود ان شاء الله تعالى في آخر هذا الباب وقال بعد ذكره لقول النبيّ عليه السلام فاقرؤوا ما تيسر منه أي من المنزل : وفيه اشارة الى الحكمة في التعدد المذكور وأنه للتيسير على القارئ . وهذا يقوّي قول من قال المراد بالاحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة لان لغة هشام وكذلك عمر لغة قريش ومع

ذلك فقد اختلفت قراءتهما . نبه على ذلك ابن عبد البر، ونقل عن أكثر أهل العلم أن هذا هو المراد بالاحرف السبعة ، وذهب أبو عبيدة وآخرون الى أن المراد اختلاف اللغات وهو اختيار ابن عطية وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة وأجيب بأن المراد افصحها

وقال ابو حاتم السجستاني نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتيم الرباب والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر . واستنكره ابن قتيبة واحتج بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الاّ بلسان قومه . فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش . وبذلك جزم أبو علي الاهوازي

وقال أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه لغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وغيرهم قال وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا

وقيل نزل بلغة مضر خاصة لقول عمر نزل القرآن بلغة مضر

وعين بعضهم فيما حكاه ابن عبد البر السبع من مضر أنهم هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش . فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الالفاظ والاعراب . ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته الى لغة أخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد . كل ذلك مع اتفاق المعنى . وعلى هذا يتنزل اختلافهم في القراءة كما تقدم وتصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا

منهم ، قلت: وتتمة ذلك أن يقال ان الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهي أي ان كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته بل المراعى في ذلك السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم و يشير الى ذلك قول كل من عمر وهشام في حديث الباب أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم . لكن ثبت عن غير واحد من الصحابة انه كان يقرأ بالمرادف ولو لم يكن مسموعاً له . ومن ثم أنكر عمر على ابن مسعود قراءته عتى حين أي حتى حين . وكتب اليه ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل ، وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة ، قال ابن عبد البر بعد ان أخرجه من طريق أبي داود بسنده يحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار لا أن الذي قرأ به ابن مسعود لايجوز ، قال واذا أبيحت قراءته على سبعة أوجه أنزلت جاز الاختيار فيما أنزل ؛ قال أبو شامة ويحتمل أن يكون مراد عمر ثم عثمان بقولهما نزل بلسان قريش ان ذلك كان أول نزوله ثم ان الله تعالى سهله على الناس فجوز لهم أن يقرؤوه على لغاتهم على أن لا يخرج ذلك عن لغات العرب لكونه بلسان عربي مبين . فأما من أراد قراءته من غير العرب فالاختيار له أن يقرأه بلسان قريش لأنه الاولى . وعلى هذا يحمل ما كتب به عمر الى ابن مسعود لأن جميع اللغات بالنسبة الى غير العربي مستوية في التعبير فاذاً لا بد من واحدة فلتكن بلغة النبي صلى الله عليه وسلم وأما العربي المجبول على لغته فلو كلف قراءته بلغة قريش لعسر عليه التحول مع إباحة الله له أن يقرأه بلغته . و يشير الى هذا قوله في حديث أبيّ كما تقدم هون على أمتي وقوله ان أمتي لا تطيق ذلك . وكأنه انتهى عند السبع لعلمه أنه لاتحتاج لفظة من ألفاظه الى أكثر من ذلك العدد غالبا ، وليس المراد

كما تقدم ان كل لفظة منه تقرأ على سبعة أوجه . قال ابن عبد البر وهذا مجمع عليه بل هو غير ممكن بل لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه الا الشيء القليل مثل عبد الطاغوت . وقد أنكر ابن قتيبة أن يكون في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه . ورد عليه ابن الانباري بمثل عبد الطاغوت . ولا تقل لهم أفّ . وجبريل ، ويدل على ما قرره انه أنزل بلسان قريش ثم سهل على الامة أن يقرؤوه بغير لسان قريش [ان] ذلك [وقع] بعد أن كثر دخول العرب في الاسلام فقد ثبت ان ورود التخفيف بذلك كان بعد الهجرة كما تقدم في حديث أبي بن كعب أن جبريل لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند أضاة بني غفار فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته فان أمتي لا تطيق ذلك . الحديث . أخرجه مسلم ،

وأضاة بني غفار هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همز وآخره تاء تأنيث هو مستنقع الماء كالغدير . وجمعه أضا كعصا وقيل بالمد والهمز مثل اناء وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب الى بني غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء لانهم نزلوا عنده ،

وحاصل ماذهب اليه هولاء أن معنى قوله أنزل القرآن على سبعة احرف أي أنزل موسعا على القارئ ان يقرأه على سبعة اوجه أي يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه كأنه قال أنزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة . وذلك لتسهيل قراءته اذ لو أخذوا بأن يقرؤوه على حرف واحد لشق عليهم كما تقدم . قال ابن قتيبة في أول تفسير المشكل له : كان من تيسير الله ان أمر نبيه ان يقرأ كل قوم بلغتهم . فالهذلي يقرأ عتى حين يريد حتى حين . والاسدي يقرأ تِعلمون بكسر أوله . والتميمي يهمز . والقرشي لا يهمز ، قال ولو

أراد كل فريق منهم أن يزول عن لغته وما جرى عليه لسانه طفلا وناشئا وكهلا لشق عليه غاية المشقة فيسر عليهم ذلك بمنه. ولو كان المراد ان كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه لقال مثلا أنزل سبعة أحرف. وانما المراد ان يأتي في الكلمة وجه او وجهان او ثلاثة او اكثر الى سبعة؛ وقال ابن عبد البر انكر اكثر اهل العلم ان يكون معنى الاحرف اللغات لما تقدم من اختلاف هشام وعمر ولغتهما واحدة. قالوا وانما المعنى سبعة اوجه من المعاني المتفقة بالالفاظ المختلفة نحو أقبل وتعال وهلم ثم ساق الاحاديث الماضية الدالة على ذلك

انتهى ما أردنا نقله من فتح الباري ملخصا